نطق الأعداد المركبة حالياً وإهمال مغايرة العدد للمعدود في النوع محاولة للتفسير(**)

أ. د.عباس على السوسوة
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة تعز

مقدمة:

لاحظ الباحث وجود فروق صوتية واضحة بين نطق الأعداد في اللغة العربية الفصحى من جهة ، واللهجات المحكية الحالية على اختلاف الأقطار من جهة أخرى . يتجلى ذلك في ظاهرتين كبيرتين متداخلتين كثيراً هما :

أولاً : المغايرة في النوع بين الأعداد في الفصحى (٣-١٠) ،وما وجد منها في الأعداد المركبة (١١-١٩) أو عطف مع العقود (٢٠-٩٠) ، وميل المحكيات إلى إهمال هذه المغايرة جزئياً أو كلياً .

ثانياً : نطق الأعداد المركبة (١١-١٩) في المحكيات الحديثة بطريقة تبعد كثيراً عن نطقها المأنوس في الفصحى.

والباحث يهدف إلى الكشف عن هاتين الظاهرتين وصفياً ، ويحاول تفسير هذا التغيير بين المستويين باستخدام المنهج التاريخي .

(١)

من نافلة القول أن :

الأعداد المفردة في الفصحى (٣-٩) تلحقها هاء إذا نطقت دون ذكر للمعدود بعدها ، أو كان المعدود بعدها مذكراً .مثل : ثلاثة، أربعة رجال. وتحذف الهاء /التاء إذا كان المعدود بعدها مؤنثاً ؛مثل : ثلاث نساء.

مـــا ســـبق موجود في الأعداد المركبة في أجزائها الأولى من(١٣-١٩) مثل: أربعـــة عشر ، خمسة عشر خروفاً وخمس عشرة نعجة. والشيء نفسه يحدث إذا عطفت مع ألفاظ العقود (٢٠-٩٠) ؛ مثل: ستة وعشرون ، سبعة وثمانون جندياً واربع وأربعون حمامة.

العـــدد(١٠) يحـــتفظ بالهاء إذا نطق دون ذكر المعدود او كان المعدود مذكراً ، مـــثل: عشرة كتب. ويفقد الهاء/ التاء إذا كان المعدود مؤنثاً مثل : عشر طالبات.لكن هذا العدد إذا دخل في الأعداد المركبة (١١-١٩)فالعكس يحدث له ؛ اذ يفقد علامة التأنيث إذا كان المعدود مذكراً وتضاف له التاء إذا كان المعدود مؤنثاً، مثل : أحد عشر كوكباً ، اثنتا عشرة عيناً.

(٢)

وهـــذه المغايـــرة المتعلقة بالنوع موجودة أيضاً -مع خلافات يسيرة- في اللغات الســـامية (العروبـــية) كالأكاديـــة والحبشـــية[١] والعـــبرية[٢] والســـريانية[٣]والعربية الجنوبـــية[٤].وإن كان ليس من هم البحث هنا تعليل ظاهرة المغايرة هذه . وقد استقصى احـــد الباحثين تعليلات النحاة العرب الأقدمين منذ سيبويه ، مروراً بالفارسي وابن جنى ، وانتهاء بالصبان ، ثم جاوزها إلى تعليلات المستشرقين، ثم إلى علماء العرب المحدثين . ورفضها واحداً بعد آخر ، ولم يقبل منها تعليلاً قط ، لأنها في نظره غير مقنعة لغوياً ولا منطقياً. وهو نفسه حاول أن يأتي بتعليل جديد يَجُبّ كل ما انتقده ، لكنه -في نظرنا- غير مقنع أيضاً[٥]. ونحن بكل أمانة لا نستطيع أن نأتي بتفسير لهذه المغايرة سواء في العربية أو في اللغات السامية، لكننا نزعم أننا قادرون على محاولة تفسير التخلي عن هذه المغايرة كما جاء في مقدمة البحث.

---

(١) شوقي النجار : مشكلات لغوية ، جدة : مطبوعات تهامة ١٩٨٤م، صـ٢١
(٢) عوني عبد الرءوف : اللغة العبرية ، القاهرة : ط جامعة عين شمس ١٩٧١ صـ١٥
(٣) احمد ارحيّم هبّو : اللغة السريانية ، حلب : منشورات جامعة حلب ١٩٧٦م صـ١٣١-١٣٢
(٤) الفرد بيستون : قواعد النقوش العربية الجنوبية ، ترجمة رفعت هزيم ، اربد ١٩٩٥م صـ٦٤
(٥) شوقي النجار : مشكلات لغوية ، صـ١٥-٦٤

(٣)

والمـــتأمل في اللهجات العربية الحديثة المختلفة في هذه الظاهرة يجدها تتفق في أمور هي:

أولاً : الأعداد (٣-١٠) تنطق بهاء إذا لم يذكر المعدود .

ثانياً : الأعداد (١٣-١٩) تنطق أجزاؤها الأولى بتاء دائماً، سواء ذكر المعدود ام لم يذكر.

ثالثاً : الأعداد المفردة إذا عُطفت عليها العقود ، تنطق دائماً بهاء تتحول كثيراً إلى فتحة طويلـــة /a:/ . ولأن اللهجـــات العربية لا إعراب فيها فإنها تُلزم ألفاظ العقود الياء مثل: عشرين ، خمسين ... الـــخ.

رابعـــاً : تعرضت الأعداد المركبة (١١-١٩) -مقابلة بالفصحى- إلى تغييرات صوتية واسعة المدى -في كل عدد على حدة- من بينها : تقصير المقطع الثالث فيها غالباً ، وهو ما عبّر عنه اللغويون القدماء بسكون العين في (عشر) ، وكذلك : تحول التاء إلى طاء في أكـــثرها. بعـــد ذلـــك تختلف اللهجات الحديثة فيما بينها بحسب نظامها الصوتي في هذا الجانب.

ولعـــل هـــذا التشابه بين اللهجات الحديثة هو ما دعا اللغوي الأمريكي شارلز فيرغســـون إلى أن يزعم أنّ "معظم اللهجات العربية الحديثة منحدرة من لغة قديمة ذات شـــكل من أشكال العربية نسميها هنا العربية العامية المشتركة (The Arabic Koine) ليســـت متطابقة مع أي من اللهجات القديمة ، كما انها تختلف في عدة جوانب مهمة عن العربـــية الفصـــحى. لكنها كانت مستخدمة جنباً إلى جنب مع اللغة الفصحى خلال قرون مـــبكرة من العصر الإسلامي"(٦) . والعلامة السادسة للعامية المشتركة هي اهمال مغايرة النوع في العدد بين المذكر والمؤنث(٧)، وعلامتها السابعة وجود الطاء في الأعداد (١٣-

(٦) Charles .A. Ferguson : The Arabic Koine (Language. vol 35 ,No 4-1959) p.616

(٧) Ibid , p.624

١٩) دون وجـــود تفســـير مقـــنع لذلك ([٨]). وهاتان العلامتان أو السمتان من ضمن أربع عشرة سمة كبيرة تميز العامية المشتركة عنده.

ونحن إن وافقناه على تشابه اللهجات الحديثة في السمتين المذكورتين ، فإنّ ذلك لا يعنـــي اتفاقـــنا مع نظريته هذه ؛ لسبب جوهري هو أنه يعمم-دون دليل- بقية السمات على كل اللهجات الحديثة، وهو أمر نفيناه بالدليل في موضع آخر([٩]) . ونستطيع ان نزيد علـــى ذلـــك هـــنا بأنـــه لم يمثل لهذه السمات اللهجية الحديثة بشاهد يتجاوز زمن كتابته بحثه(عام١٩٥٩م).

(٤)

والآن لنـــنظر فـــي نطـــق هذه الأعداد في بعض اللهجات لنتأمل لا اتفاقها فيما ذكـــرناه آنفاً فحسب بل واختلافها في جزئيات داخل النطاق المتفق عليه ، حتى نرى أين سرى تيار التغيير ، ولنبدأ **بالسودانية**([١٠]):

واحِد ، اتنين/itne:n/ ، تلاته/tala:tah/ أربعه ، خمسه، سته ، سبعه ، تمَنيَه/tamanjah/ ، تســـعه ، عشـــرة /ʕaʃrah/ ،حداشر ، إطناشَر ، طَلَطّاشَر ، أربَعطاشَر ، خمِسطاشَر ،سِطّاشَر ، سَبعَطاشر ، تَمَنطاشر ، تِسعَطاشر.

والســـودانية لا تميز في العدد بين المذكر والمؤنث ، لكنها في عدم تمييزها هذا تُثبـــت الهاء في الأعداد المفردة إذا ذكر المعدود، مثل : تلاته نِسوان ، وتلاته كُتُب، وكذا في حالة عطفها مع الفاظ العقود . والأعداد المركبة تنطق كما ورد سابقاً.

([٨]) Ibid , p.625-626

([٩]) عباس على السوسوة :ملاحظات حول ملف"اللغة العربية والوحدة القومية" -المستقبل العربي ،العدد ١٢٥ ، يوليو ١٩٨٩ ، صـ١٥٥.

([١٠]) كما في لهجة الخرطوم والجزيرة حتى ستار ، مأخوذة من د. حسن على عيسى (٥٠ عاما) : وسنلجا للكتابة الصوتية في حالة الضرورة. وسنترك التشكيل بالحركات القصار مادام النطق لا يختلف مع الفصحى أو كان اللبس مأمونا.

وفي العامية المصرية (١١):

واحـد ، اتنين/itne:n / تلاته/tala:tah/ اربعه ، خمسه ، سته ، سبعه، تمنيه/tamanjah/ تسـعه ،عشـرة/ʂaʃrah / ،احداشـر، اطناشـر، تلطّاشر/tala€a:ʃar/ ، أربعطاشـر ، خمسطاشـر ، سبّطاشـر ، سبعطاشـر ، تمنطاشر ، تسعطاشر . والعامية المصرية المشتركة لا تميّز بين المذكر والمؤنث في العدد ، وإن كانت – في هذا الشأن– تحـذف الهاء إذا ذكر المعدود في الأعداد المفردة بعكس السودانية. ففيها: خمس فدّدين ، سـتّ كُتُـب، عشر ستّات ، ولكن يقال فيها : حنفي مجوّز اربعة . والأعداد المركبة لها صيغة موحدة كما أوردنا ، وأما الأعداد المعطوفة مع العقود فتلزم الهاء.

ومن مصر إلى فلسطين(١٢) : واحد ، اتنين / iθne :n/ ثلاثه أربعه ، خمسه ، ستّه سـعه ، ثمانـيه ، تسـعه، عشره ، إحداش ، إطناش ، ثلطّاش، أربعطاش ، خمسطاش ، سبّاش ، سبعطاش ، ثمنطاش ، تسعطاش. وفي الفلسطينية لا تمييز هنا بين مذكر ومؤنث ، وان كانت تحذف الهاء من العدد المفرد إذا ذكر المعدود مثل : اربع كتب، ثلث نسوان ، وفـيها أيضـاً : متجوّز ثلاثه! أما الأعداد المركبة فصيغتها موحدة كما ذكرنا، وفي حالة عطف الاعداد المركبة مع العقود تكون الصيغة موحدة بالهاء.

ومـن فلسطين إلى سوريا (١٣): واحد ، اتنين /itne:n/ تلاته /tala:tah/ أربعه ، خمسـه ، ستّه ، سبعه ، تمنيه/ tamanjih/ تسعه ، عشره / ʂaʃrah/ إداعش/ida:ʂaʃ/ إطنعش ، تلطّعش ، اربطعش ، خمسطعش ، سبّعش ، سبعطعش تمنطعش/tmon€Λʂʃ/ تسـعطاش. والسورية المشتركة لا تميز بين المذكر والمؤنث في الأعداد المفردة إذا ذكر المعـدود ولكنها كالفلسطينية والمصرية تحذف الهاء منها ، مثل : سبع طاولات ، خمس كُتُـب ، سـتّ كراسي ، تلت ليرات . وفي الأعداد المركبة الصيغة موحدة كما اوردنا . وتلزم الهاء الأعداد المفردة إذا عطفت مع العقود.

---

(١١) مأخوذة من د. محمد حمدي على (٥٣ عاما) و د . عاطف السيد (٤٣ عاماً) .
(١٢) مأخوذة من أ. د. محمد رجا الدريني (٦٣) عاما
(١٣) مأخوذة من أ. ايمن عبد الرزاق الشيخ (٤٣ عاما)

ونـــنطلق إلى بلاد الرافدين لننظر في العراقية المشتركة([١٤]): واحد ، اثنين / iθnje:n /تلاثـــه/tla: θeh/اربعة ، خمسه ، سته ، سبعه ، ثمانيه/θmα:njeh/ تسعه ، عشـــره/çaʃrah/داعـــش ، اثـــناعَش، اتلطعـــش/itla€€Λçʃ/ أربَعطَعَش ، خمسطعش/ xmos€açaʃ/سطّعَش، سباطعش/sba: €açʃ/ثمنطعش/θmon€açaʃ/ تسعطاعش.

والعراقـــية في الأعداد المفردة لا تميز بين المذكر والمؤنث بعلامة فهي تحذف الهاء إذا ذكـــر المعـــدود ،مثل : اتلَث نسوان واتلث كتب. وهي في هذا مثل السورية والفلسطينية والمصـــرية . والأعـــداد المركبة فيها موحدة الصيغة كما أوردنا ، والأعداد المفردة تلزم الهاء إذا عطفت مع العقود .

أمـــا فـــي المحكية اليمنية المشتركة والسعودية المشتركة ايضاً فيوجد تمييز بين المذكـــر والمؤنث كما في الفصحى لكنه تمييز مقصور على الأعداد (٣-١٠) ؛ يقال – مـــثلاً- عشر نسوان وعشرة رجال ، أربعة كتب وأربع سيارات. والأعداد المركبة تلزم صيغة واحدة -كبقية المحكيات العربية- وقل الشيء نفسه في المعطوف على العقود.

ويلاحـــظ أن في المحكية اليمنية -على تعدد لهجاتها -صيغتين للأعداد المركبة إما بالتاء وإما بالطـــــاء .

الأولـــى ([١٥]): حَدَعشـــر ، اثنَعشـــر ، ثَلَطّعشَـــر ، أربَعطَعشَر ، خَمِستَعشَر ، سِتَعشَر، سَبَعتَعشَر ، ثَمَنطَعشَر ، تِسعَتعشَر.

والثانـــية([١٦]) : احداعـــش(وهداعـــش) ، اِثناعَش ، ثَلَتّاعش ، اَربَعتاعش، خَمِستاعش، سِتّاعش ، سَبعَتاعش ، ثَمَنتاعَش ، تِسعَتاعَش.

إذن نستنتج مما سبق أن المحكيات العربية مالت إلى إلغاء التمييز في العدد بين مذكر ومؤنث سواء تلك التي فضلت إلغاء الهاء أو التزمته . فهل جاءت فترة قديمة سابقة

([١٤]) ماخوذة من أ. د. قحطان رشيد صالح (٦٥ عاما) و أ. د. محمد يونس جبر (٦٣ عاما)
([١٥]) ماخوذة عن د.صادق عبد الواحد إسماعيل (٣٨ عاما) ، والحاج هزاع محمد عمر الصلوي (٥٥ عاما)
([١٦]) ماخوذة عن أ. صادق عبد الحميد القاضي (٢٦ عاما)

علـــى العصـــر الحديـــث كان فيها بعض العرب يميلون الميل نفسه ؟ نرجو أن لا نكون متســـرعين فـــي الجـــواب إذا قلنا نعم ؛ إذ لا يعقل أن تكون هذه التغييرات في كل هذه المحكيات بنت العصر الذي نعيشه . وسوف نؤجل إيراد الشواهد على زعمنا إلى حين . ونواصـــل الحديـــث عن هذا الميل الذي جاوز لغة الحياة اليومية إلى الفصحى المعاصرة الرسمية .

فقـــد أخذنـــا نلاحظ القنوات الفضائية الناطقة بالعربية ، منذ صيف ١٩٩٥م إلى بدايـــة صـــيف ١٩٩٩م. وكـــان اهتمامنا يتركز على المواد الفصيحة ، كنشرات الأخبار بأنواعهـــا والبرامج العلمية والمحاضرات الثقافية ، والبرامج الدينية ، والبرامج المترجمة عـــن بـــرامج أوربية ، فلاحظنا أن هذه الفضائيات –مع اختلاف يسير في نسبة الالتزام– جميعها ينطق الأعداد كالآتي:

١– هناك التزام للمخالفة بين العدد والمعدود على ما هو مأنوس في قواعد الفصحى في الأعداد (٣–١٠).

٢– هـــناك تردد في هذا الالتزام –ولانقول مخالفة كاملة– إذا كانت هذه الأعداد مركبة أو معطوفة مع العقود فنجد : " تسعة عشَرَ طالبة ، وخمسة وثلاثين تلميذة" كثيراً.

٣– أمـــا إذا كان البرنامج حوارياً من أي نوع كان : ثقافياً أو دينياً أو فنياً ، فإن الميل إلـــى الـــنطق بحســـب العامية المشتركة لكل قطر يكون هو السائد ،بل إن بعض الفضائيات سواء كانت تابعة لدولة ما أو لممولّ غير دولة ، تترك للمذيعين الحرية في نطق الأعداد كيفما شاءوا .

وهـــذه الظاهرة –ان شئنا الحق– ليست وليدة عصر الفضائيات ، بل تعود إلى أكثر مـــن عقدين ؛ فقد لاحظ أستاذنا السعيد بدوي أن نطق الأرقام في نشرات الأخبار وغيرها من مناسبات نطق الفصحى المعاصرة ينطق عامياً دون أن يصحح أو ينكر(١٧).

(١٧) انظر التفصيل في : السعيد محمد بدوي : مستويات العربية المعاصرة في مصر ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧٣م،صـ١٤١،١٤٠،١٣٥.

بـــل إنـــنا نخشى أن نجازف فنقول إن ابن جني نفسه (ت٣٩٢هـــ) قد شكا من هذه التغيـــيرات في العدد قبل ألف سنة أو تزيد حين قال : " ... وعلى الجُملة فينبغي أن يُعلَم أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات والتخليطات ، ونُقضت في كثير منها العادات"([١٨])

(٥)

إذا افترضـــنا أن الظاهـــرة التي نعالجها الآن منحدرة عن العربية الفصحى، فإن افتراضنا هذا لا يجعلنا نغفل عن المواريث المحلية القديمة التي أثرت في اللهجات العربية الحديثة .

وعلى كل حال فالتغييرات التي حدثت للأعداد طبيعية ، ذلك ان كثرة الاستعمال لألفـــاظ معيـــنة يجعلها أكثر عرضة للتغيير من غيرها ،أما التي لا تستعمل كثيراً فتظل بمنأى عن التغيير .وقد تنبه علماء العربية لهذا ، فالزُّبيدي (ت٣٧٩ هـــ) يرى " ان الفساد إنمـــا يقـــع فـــي المستعمل على الالسنة ، وان الوحشي مصون عن التغيير والإحالة لقلة استعماله"([١٩]). وابن جني يرى أن العرب " لما كَثُر في استعمالهم أشد تغييراً ، كما جاء عـــنهم لذلـــك : لم يكُ ، ولا أدر ، ولم أُبَل ، وأيش تقول ، وجا يجي وسا يسو –بحذف همزتـــيهما–"([٢٠]) وغيره يقول الشيء نفسه ([٢١]). ودون شك فإن عصرنا أكثر العصور اســـتخداماً للأعداد من العصور السابقة ، فمن وجوه استعمالها في الحياة اليومية : موعد الـــنوم ، موعد القيام من النوم ، موعد المدرسة والجامعة والحصة والمحاضرة ، وأسعار المشـــتريات من الإبرة حتى السيارة، ونتائج الدراسة (بحالاتها ومراحلها الكثيرة) ونتائج المـــباريات ومواعـــيدها، والأرقـــام القياســـية في الأنشطة المختلفة ، والمقاييس المختلفة

([١٨]) أبو الفتح عثمان بن جني : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحـ على النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٦٦-١٩٦٩م ، حـ١/٨٥.

([١٩]) أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي : لحن العامة ، تحـ عبد العزيز مطر ، ط٢ ، القاهرة : دار المعارف ١٩٨١م،صـ٣٨.

([٢٠]) المحتسب ، ج١/٣٧.

([٢١]) أبوسعيد الحسن بن عبد الله السيرافي : شرح كتاب سيبويه(ج١) تحـ محمود فهمي حجازي ورمضان عبد التواب ومحمد هاشم عبد الدايم ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م ، صـ٩٣.

للموازين والأطوال والمساحات ... الخ . فكثرة الاستخدام التي أدت إلى التغيير أدت قبل ذلك إلى التخفف -في لغة الحياة اليومية- من كثير من القواعد المتعلقة بها ، بل إنّ هذا التخفف قد طال اللغة الفصحى أحياناً كثيرة سواء في التخفف من التزام المغايرة في النوع، أو في نطق الأعداد المركبة إن لم يكن مثل النطق العامي حالياً فإنه يشبهه كثيراً . ولنا عودة إلى ذلك بعد رحلة تاريخية مع التراث منذ نزول القرآن الكريم حتى الآن .

(٦)

والفراء ينسب لبعض العرب تسكين العين من عشرة في الأعداد المركبة عندما يكون المعدود مذكراً ، قال : " فإن العرب تنصب ما بين أحَدَ عَشَرَ إلى تسعةَ عَشَرَ في الخفض والرفع ، ومنهم من يخفف العين في (تسعةَ عْشر) فيجزم العين في الذُكران ، ولا يخففها في ثلاثَ عَشرة إلى تسعَ عَشرة"(٢٢).

وكذلك يقول ابن السكيت : "ومن العرب من يسكّن العين من أحَدَ عْشَر ، وكذلك يسكّنها إلى تسعةَ عْشر، إلا الاثني عَشَر ؛ فإن العين لا تسكّن لسكون الألف والياء قبلها "(٢٣).

فإذا ما تركنا زمن العرب الفصحاء وجئنا بعدها إلى لغة التأليف فإننا واجدون شواهد على عدم التمييز بين المذكر والمؤنث في الأعداد المركبة ؛ اذ يميل المؤلفون إلى إثبات التاء فيها للجنسين، من ذلك ما ورد عند الوزير الفاطمي المسبحي (ت٤٢٠هـ) : " اهدى الرسول العجمي إلى الحضرة المطهرة نحو الخمسة عشر ناقة محملة ورقاً طلحياً "(٢٤). ولا نستطيع القطع ان كانت تنطق الخَمِستَعْشَرْ أو الخَمسَةَ عشرَ . وكان لبعض محققي كتب التراث جهد في طمس معالم هذه الظاهرة ، اذ تجاوزوا حدّ التحقيق إلى

---

(٢٢) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : معاني القرآن ، تحـ أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، القاهرة : الهيئة العامة للتأليف ٥٥-١٩٧٣م ، حـ٣/٢٠٣

(٢٣) ابو يوسف ، يعقوب بن اسحاق السكيَت : اصلاح المنطق ، تحـ أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون القاهرة : دار المعارف ١٩٧٠م ،صـ٢٩٩ وقارن بصحاح الجوهري مادة (عشر) جـ٢ / ٧٤٦.

(٢٤) محمد بن عبيد الله المسبحي : أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥) . تحـ وليم . ج. ميلورد، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ، صـ٤٩ وانظر صـ٢٠٠ أيضاً .

تصحيح لغة المؤلفين .فمن ذلك اننا نجد عند غرس النعمة الصابي(ت٤٨٠هـ) نصاً منقولاً عن ابن الداية (من القرن الثالث) فيه ما يلي " رأى في المنام كأن في يده رقعة مكتوباً فيها : الطالع الجوزاء ثلاث عشرة درجة "(٢٥) وكتاب ابن الداية المنقول منه النص مفقود فلا نستطيع ان نعلم ان كان هذا النقل دقيقاً أم لا ، لكن المحقق أورد في حاشية (٤) ما يثبت أنه غيّر النص قال : " في الأصول الثلاثة : ثلاثة عشر"(٢٦)! فإذا عدنا إلى مقدمة التحقيق (صـ٤٢-٤٧) علمنا ان الأصول الثلاثة كما يلي :

أ-تاريخ كتابتها عام ٦٤٧هـ ، و(ب) كتبت عام ٦٣٠هـ ، و (ع) كتبت عام ١١١٢هـ؛ والله يعلم كم صحح المحقق من عبارات! وهذه التواريخ تثبت الميل إلى عدم التمييز في تاريخ العربية .وليس محقق (الهفوات) وحده الذي غيّر ، فهناك غيره ، ويكفي أن نحيل القارئ إلى النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٨٧٤هـ) وهو في سبعة عشر مجلداً لترى ما الذي جرى عليه(٢٧)

ونجد عدم التمييز في العدد سواء كان مركباً أم غير مركب عند ابن المجاور (توفي في القرن السابع) مع حذف التاء في مؤنث (١٢) كالنطق العامي.ومن ذلك :

-" ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة "(٢٨).

-"فقال أنت في جدّة ، الصلاة فيها بتسعة عشر الف صلاة"(٢٩).

-"وفتح نجاح زبيد في سنة اثني عشر واربعمئة " (٣٠).

-"وقد بنى على البئر مسجداً سنة اثنين وعشرين وستمئة"(٣١).

---

(٢٥) غرس النعمة الصابي ، ابو الحسن محمد بن هلال : الهفوات النادرة ، تحـ صالح الأشتر ، دمشق، مجمع اللغة العربية ١٩٦٧م، صـ ١٩٦.

(٢٦) المصدر نفسه ، حاشية (٤)

(٢٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، جـ١٤ تحـ فهيم محمد شلتوت وجمال محمد محرز ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١م (صـ١ أشار المحققان إلى أنه ورد في النص اثني عشر سنة فغيرها إلى اثنتي عشرة ، وانهما سيغيران كل ألفاظ العدد دون إشارة(!) والمحققان شاركا في تحقيق بعض أجزاء النجوم ، فللقارئ أن يتخيل الأجزاء التي لم توضع عليها صفة التحقيق.

(٢٨) ابن المجاور الشيباني الدمشقي ، جمال الدين يوسف بن يعقوب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، تصحيح اوسكر لو فغرين ، ليدن : طـ بريل ١٩٥١م صـ ٣٤

(٢٩) ابن المجاور صـ٤٧

(٣٠) ابن المجاور صـ٧٢

-"صُحار كانت اثني عشر الف قرية"([٣٢]).
-"بقي منها اثني عشر الف قطعة"([٣٣]).

وجـاء في شعر عبد الرحمن ابي القاسم المسجف(ت٦٣٥هـ) يهجو خمسة من معاصريه كل منهم لقبه تاج الدين " خمس تيجان لايساوون نعلاً * رثّ فـي قيمةٍ ولا مقدار

الشحيرير والأعيور والقصّا * ر وابن المصري وابن الحواري"([٣٤])

والمـؤرخ اليوسفي (ت ٧٥٩هـ) لا يميز كثيراً بين الأعداد في تاريخه للملك الناصـر : " فكـان له مدة ثلاثة وعشرين سنة "([٣٥]) وفي موضع آخر يقول : " وتوفي وعمره ثلاثة وثلاثين سنة"([٣٦]).

وعدم التمييز بين الأعداد مذكرة ومؤنثة في المركبة وغيرها ، نجده شائعاً في تاريخ ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ) المتحلل كثيراً من علامات الإعراب ومنه:
-" وانشأ قناطر وجسور وحفر بحور بالديار المصرية ، من ذلك في الجسر الذي يسلك عليه إلى دمياط ستة عشر قنطرة"([٣٧]).
-" وفي الواصلين نسوة حجاج ثلاثة وخمسون امرأة "(٣٧).

([٣١]) نفسه ، صـ١٠٥ .
([٣٢]) نفسه ، صـ٢٨٥.
([٣٣]) نفسه ، صـ٢٩٤ وانظر أيضاً صـ١٩٠،١٣٧،١١٧.
([٣٤]) محمد بن شاكر الكتبي : فوات الوفيات والذيل عليها ، تحـ إحسان عباس ، بيروت :دار صادر ١٩٧٢ ج٢/٢٨٦ .
([٣٥]) موسى بن يحيى اليوسفي : نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحـ احمد حطيط ، بيروت : عالم الكتب ١٩٨٦م،صـ٢٣٣.
([٣٦]) نزهة الناظر ، صـ٢٣٦ وانظر صـ ٤٥٢ .
([٣٧]) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٧ تحـ قسطنطين زريق ، بيروت : الجامعة الأمريكية ١٩٤٢م، صـ٨٣ .
(٣٧) تاريخ ابن الفرات ، صـ٢٤٧.

-" اولهـــا يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمئة للهجرة النبوية ... الموافـــق للثالث من حزيران سنة الف وخمسمية واربعة وتسعين للاسكندر بن فيلبس اليوناني "([٣٨]).

وهـــذه الظاهـــرة نجدها في تاريخ الغياثي (ألفه عام ٨٧٩هـــ)كما هي الحال عند سابقه ويزيد على ذلك بحذف التاء من مؤنث العدد(١٦) كالعامي تماماً ومن ذلك:

-"وكانوا ملجأ وملاذاً لسلاطين إيران ،وموييلا ومعاذاً لملوك ذلك الزمان .ومدة ملكه ست عشر سنة"([٣٩]).

-وتوفـــي في سلخ رمضان في سنة ست وعشر وسبعمئة ، وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر سنة وأشهر"([٤٠])

-" ولمّا أخبروه في أواخر سنة اثنين وثمانمئة أن تمور قد عزم على سيواس توهم أن يسد عليه طريق الروم "([٤١]).

وظاهـــرة عدم التمييز موجودة عند ابن الجيعان (ت٩٠٢هـــ) في تاريخه لرحلة قايتباي :

-"ثـــم ركـــب لـــيلة الإثنيـــن خامسه ، والباقي للأذان خمسة وثمانون درجة غير حصة الصبح"([٤٢]).

-" والباقي للشمس ، كما قيل ، مئة درجة وسبعة عشر درجة "([٤٣]).

([٣٨]) تاريخ ابن الفرات صـ ٢٦٣ وانظر أيضاً صـ ٢٦٢، ٢٥٠، ٢٧١، ٢٧٠

([٣٩]) الغياثي ، عبد الله بن فتح الله البغدادي : التاريخ الغياثي ، تحـ طارق نافع الحمداني ، بغداد : جامعة بغداد ١٩٧٥م صـ٤٥

([٤٠]) التاريخ الغياثي ، صـ٥٥

([٤١]) التاريخ الغياثي صـ ١٢٣ وانظر أيضا ص ٩٨، ٩٧، ١٣٠، ١٣٥، ٣٦، ١٥٣، ٢٣٨، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٧، ٣٢٥.

([٤٢]) ابن الجيعان : القول المستطرف في سفر مولانا الأشرف(رحلة قايتباي إلى بلاد الشام ٨٨٢هـ)، تحـ عمر عبد السلام تدمري ، طرابلس : جروس برس ١٩٨٤، صـ٦٣

([٤٣]) ابن الجيعان ، صـ ٦٦ وانظر أيضاً صـ٨٣، ٦٤

ونجد هذه الظاهرة عند ابن إياس (ت٩٣٠هـ) مثل : " وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوماً ... وله من العمر نحو من أربعة و خمسين سنة"(٤٤).

وعيسى بن لطف الله (ت١٠٤٨هـ) نجد عنده : " واستدام يطلع كل ليلة في الوقت المذكور نحو ثلثة عشر ليلة "(٤٥)ولا ندري إن كان ناسخ الكتاب – وهو معاصر للمؤلف – فضّل حذف الألف اتباع لرسم المصحف أم إنه جنح إلى النطق العامي.

وعدم التمييز كثير الورود في يوميات البديري عن أحداث القرن الثاني عشر الهجري، وهذه اليوميات مكتوبة بعامية شامية منقحة . ومنها :

– "ورطل الكعك بخمسة عشرمصرية "(٤٦).

–" ثم دخلت سنة أربعة وستين ومئة وألف "(٤٧).

–"وقد نبتت حبة الحنطة اثنين وعشرين قصلة سنبلة "(٤٨).

والظاهرة موجودة في قانون مدينة صنعاء الذي كتب في عام ١١٦١هـ ، ففيه " ومقدارها من الجمين ست عشر جَمَنة"(٤٩) .

ونجد هذه الظاهرة في الحوليات اليمانية التي تناولت نحو مئة عام من الحوادث بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر وهي مكتوبة بلغة غير فصيحة . ومن ذلك

–" اشتدت علة مرض المنصور وتوفي ..... ومدة خلافته خمسة وثلاثين سنة "(٥٠).

---

(٤٤) محمد بن احمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحـ محمد مصطفى ، فيسبادن: فرانز. شتاينر ١٩٦٣م، ج٣/٣٢٥.

(٤٥) عيسى بن لطف الله المطهر بن شرف الدين : روح الروح فيما جرى بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح . صنعاء : وزارة الإعلام ١٩٨١م ، صـ ١٢ وانظر صـ ٨٣.

(٤٦) حوادث دمشق اليومية(١١٥٤-١١٧٥هـ) جمعها : الشيخ أحمدالبديري الحلاق ، نقحها : الشيخ محمد سعيد القاسمي ، تحـ : أحمد عزت عبد الكريم ، القاهرة : مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٩،صـ٨١.

(٤٧) حوادث دمشق اليومية،صـ١٥١ .

(٤٨) حوادث دمشق اليومية، ص١٦٦ وانظر أيضاً صفحات ٢٢٠،١٨٣،١٨١،١٧٢،١٦٠،١٤٣،٤٨،٥.

(٤٩) قانون مدينة صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري ، بعناية القاضي حسين بن أحمد السياغي ، ط ٢ صنعاء :نشر عبد الله اسماعيل غمضان ١٤٠٢هـ، صـ٣٨.

-" وتركوهم الترك طوعاً سبعة عشر سنة"([٥١]).

-" وتناهى صرفها من ثمانية واربعين إلى خمسة وسبعين مربوعة التي كانت قد بطلت"([٥٢]).

(٧)

مرّ بنا أن لغة بعض العرب -في عصر الاحتجاج باللغة – تسكين عين (عشر) في الأعداد من (١١-١٩) باستثناء (١٢). كما نقل ذلك علماء العربية وعلماء القراءات معاً ، وان ظل هذا التسكين خاصاً بالأعداد التي معدودها مذكر دون المؤنث . وهناك شواهد تاريخية من الكتابات التي لا تلتزم النهج الفصيح قد وحدت بين النوعين كما هو الحال في لغة الحياة اليومية في عصرنا هذا .ففي البحث الذي يؤرخ به أحمد مختار عمر للعربية في مصر منذ دخولها إلى مصر مع جند الفتح الاسلامي إلى ان أصبحت لغة مصر جميعا، يقول عن لغة البرديات في هذا الصدد: " وعلى ما حققه البروفسر جروهمان فإن الصيغة العددية التي كانت مستعملة في الوثائق هي: حدعشر ، وخمستعشر، وستعشر"([٥٣]) بل إنّ في لغة البرديات ظواهرتغير صوتية مثل إبدال الثاء تاء مثل " اتنعشر بدلا من اثناعشر "([٥٤]).

وفي زمن قريب من ذلك نجد ابن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ) يسجل هذه الظاهرة ضمن لحن العامة في عصره : " وتقول العامة في العدد : حِدَعْشر ، وتقول الخاصة : حَدَعْشر .والصواب أحَدَعَشَر ، ويجوز أحدَعْشر بإسكان العين ، إلا أن الألف لا بدّ من إثباتها . وفتح العين أفصح"([٥٥]).

([٥١]) حوليات يمانية من سنة ١٢٢٤هـ إلى ١٣١٦هـ ، تحـ عبد الله محمد الحبشي ، صنعاء : وزارة الإعلام والثقافة ١٩٨٠م ،صـ١ .

([٥١]) حوليات يمانية، صـ ٢٤٦.

([٥٢]) حوليات يمانية ،صـ٣٧٠ وانظر على سبيل المثال صـ ٥٥٧،٥٢١،٤٩٣،٢٦٤،٢٦١، ٦٣٦

([٥٣]) أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧٠م صـ١٠٦ وانظر صـ ١٤٤.

([٥٤]) تاريخ اللغة العربية في مصر صـ ١٣١ .

([٥٥]) ابو حفص عمر بن مكي الصقلي : تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحـ عبد العزيز مطر ، القاهرة: دار المعارف ١٩٨١م، صـ٢٩٠ .

وهذا الأمر نجده فاشياً عند ابن الصديق (ت بعد ١١٨٥هـ) الذي أرخ لأحداث بلاد الشام في القرن الثاني عشر الهجري بعامية محلية مختلطة بقليل من الفصحى . فإذا استبعدنا ما جاء من عدم التمييز في غير الأعداد المركبة ([٥٦]) ، فإن الاعداد المركبة عنده عامية تماماً في الغالب ومن ذلك :

- انتعشر كيس ، واتنعشر يوم([٥٧]).
- اتلتعشر ([٥٨]).
- اربانعشر([٥٩]).
- "دخل إلى الشام من مجي عصمان باشا بثلاثة أيام يوم سطعشر في ربيع الأول"([٦٠]).
- يوم سباتعشر([٦١]).
- نهار اتمنتعشر([٦٢]).

وهنا نلاحظ ابدال الثاء تاء ،وتحول العين الأولى فتحة طويلة ، وابدال التاء طاء في بعض الأعداد ، كما هو النطق الدمشقي الحالي إلى حد بعيد.

وشيء مثل هذا سجّل العلامة المصري احمد تيمور (ت١٩٣٠م) في معجمه بعضه من المستعمل في زمانه ، وبعضه من مصادر قديمة مخطوطة ، قال : " ينطقون بالأعداد المركبة مثل تمانطاشر. وفي ظهر ١٣٢ من مستوفى الدواوين رسمت (تمنطعشر) هكذا ... المجموعة (رقم ٦٦٦ شعر) اول سطر في صـ ٦٠ (ستّعْشَر سنة) وكذلك في صـ٧٣ في زجل اللغة وهذه خاصة بالصعيد . وفي ظهر ٨٧-١٨٨ من ذلك كثير ، وقد ذكر بالعين والطاء . وفي ١٨٩-١٩٠ اطنعشر"([٦٣]).

([٥٦]) حسن الشهير بابن الصدّيق : غرائب البدائع وعجائب الوقائع ، تحـ يوسف نعيسة، دمشق : دار المعرفة ١٩٨٨م ، صفحات ١٩،٢٣، ٣٤، ٣٨،٣٩ ٥٣، ٦٢، ٦٨، ٧٠، ٧٩، على سبيل المثال لا الحصر.

([٥٧]) غرائب البدائع ، صـ ٦١،٧٤ ،٨٢، ٨٧ .

([٥٨]) نفسه ، صـ ٦٦، ٨١ .

([٥٩]) نفسه ، صـ ٨١، ٨٧.

([٦٠]) نفسه ، صـ ٥٥

([٦١]) نفسه ، صـ ٦٨

([٦٢]) نفسه ، صـ ٧٧، ٩٣

([٦٣]) احمد تيمور : معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ، تحـ حسين نصّار ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م ، جـ١/١٤٤-١٤٥.

(٨)

ولـــم تسلم الكتابة بالعربية الفصحى المعاصرة من الميل إلى اهمال التمييز بين المذكـــر والمؤنث في العدد، أو الخلط بين مواضعه بتأثير لغة الأم . وطبعاً فمقامنا مقام تمثـــيل لا مقام إحصاء . فمن ذلك ما ورد عند السياسي الوزير الخطيب الصحفي فتحي رضـــوان فـــي كتاب واحد ؛ جاء فيه " سبعة ليال "([٦٤]) و" عشرة دقائق"([٦٥]) و"سنتين أو ثلاثـــة وكما زادت على أربعين أو خمسة "([٦٤]) و " ثلاث أو أربع شروط"([٦٤]) و"فخرجت القصيدة التي انتظمت خمساً وثلاثين بيتاً سبعة قطع"([٦٤]).

ونجد ذلك عند المؤرخ رءوف عباس : " وبلغ عدد المدارس الخصوصية ثلاثة عشر مدرسة"([٦٦]).

ومثل ذلك عند الكاتب الإسلامي فهمي الشناوي : " أحلم ببكالوريا ثانوية موحدة في كل الدول الإسلامية الأربعة والخمسين "([٦٧]).

وتأتي الآن إلى كتّاب يعد أصحابها القمة في الصحة اللغوية المثالية، لا يجرؤ أن يعـــرض مصـــحح فـــي مطبعة أو مجلة لما يكتبون فيقوّم اعوجاجها ، فهم – غالباً – ما

([٦٤]) فتحي رضوان : عصر ورجال ، القاهرة : الأنجلو المصرية ١٩٦٧م ، صـ١١٢.

([٦٥]) عصر ورجال صفحات ١٢١، ١٦١، ٢٦٤، ٣٢٥ على التوالي وانظر ان شئت :
- عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، القاهرة : دار المعارف ١٩٦٨ صـ ٥٤.
- كمال دسوقي : تاليف المتون الدراسية مبرمجة باللغة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ ٧٨ (مايو ١٩٩٦م)ص١٥٣ .
- احمد مختار عمر : صناعة المعاجم الحديثة : القاهرة ، عالم الكتب ١٩٩٨ صـ٧٥.
- تهاني حسن الفحام : الدواء سلاح ذو حدين ، مجلة أسيوط للدراسات البيئية (جامعة أسيوط) العدد ١٦ (يناير ١٩٩٩م) ص١١.
- محمود محمد عبد الرحمن : وسائل منع الحمل بين المزايا والعيوب (المرجع السابق) ص٣٤، ٣٦،٣٩،٤٢،٤٨.
- عبادة بن أيوب الكبيسي : شبهات حول تفسير الرازي ، عرض ومناقشة . مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية –دبي ، العدد ١٦(١٩٩٨) ص٦١ .

([٦٦])رءوف عباس: تاريخ جامعة القاهرة : القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مصر للمصريين) ١٩٩٤م ،ص١٢ وانظر صـ١٨،١٧،١٤،١٣،١٢ مثلاً .

([٦٧])فهمي الشناوي : أحلام اسلامية ، مجلة المختار الإسلامي (القاهرة) العدد ١٨٩ سبتمبر ١٩٩٨م صـ٦٠، وانظر أيضاً ص٦٨.

يصـــدرون الفتاوى المعيارية حول ما يجوز ومـــا لا يجوز ، هؤلاء هم أعضاء المجامع اللغوية . فمن ذلك –على سبيل المثال :

مـــا جاء عند الشيخ حمد الجاسر(ت ٢٠٠٠م) :" ويحوي من تراجم العبادلة من (عبد الله بن عمران) إلى نهاية ترجمة (عبد الله بن قيس) وعددها نحو اربعة واربعين ترجمة "([٦٨]).

ومـــن ذلـــك مـــاورد عند شيخ العربية وعضو المجمع ابي فهر محمود محمد شـــاكر(ت ١٩٩٨) : "وانظـــر إلى حقد الاستشراق الذي ظلّ كامناً أربعةً وثلاثين سنة ثم استعلنَ "([***]) .

وعـــند عـــبد الهادي التازي : " ثم الخباء المغربي الثاني الذي يحتوي على ستة وثلاثين حجرة والذي كان مخصصا فيما يبدو للسلطان وحريمه"([٦٩]).

وعند أمين على السيد : " واعاد تحقيق هذا الكتاب النافع عضو من أعضاء هيئة التدريس بكلية دار العلوم وقد أصلح خمسة وتسعين هنة ، واعد للكتاب دراسة ففصل ما فيه "([٧٠]) .

وعند بدوي طبانة :" وكانت جملة المطبوع في تلك الطبعات الثلاث خمسة عشر ألف نسخة"([٧١]).

ونجدها عند الضامن : " وبقي ثمانية وعشرين سنة في التدريس"([٧٢]).

([٦٨])حمد الجاسر : مكتبة العرب ، مجلة العرب (الرياض) ج١٢،١١،س ٢٩ تشرين ٢، كانون ١ سنة ١٩٩٤م ص٨٤٦

([***]) محمود محمد شاكر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ضمن الطبعة الثالثة لكتاب ((المتنبي)) ، دار المدني بجدة ومكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٣٣ ، هامش (١) .

([٦٩])عبد الهادي التازي : ألفاظ الحضارة في الوثائق العربية ذات الطابع الدولي ، المرجع السابق ، صـ٢٥٠ وانظر صـ٢٥١

([٧٠]) أمين على السيد : العامي الفصيح ، شذرات من هذا العنوان ، المرجع السابق ج٦٦ (مايو ١٩٩٠م) صـ ١٨٥

([٧١]) بدوي أحمد طبانة : تجربتي في صنعة معجم البلاغة العربية ، المرجع السابق ج٧٦ (مايو ١٩٩٥) صـ ٢٠٤

ونجدها عند السامرائي: " لقـد وقفت في هذا الكتاب في أصله المخطوط ثم فـي المطبوع الذي قدمه الأستاذ الحِبشي على فوائد لغوية من العربية المحكية في اليمن منذ ثلاث قرون"(٧٣).

(٩)

مـرّ بـنا كثرة استعمال الأعداد في لغة الحياة اليومية وكونها من أكثر الألفاظ عرضـة للتغيير ، كما تحدثنا عن الميل إلى التخلي عن المغايرة -بشكل عام- تبعاً لمبدأ طـرد البـاب علـى وتيرة واحدة . ويرتبط بهذين السببين سبب صوتي متعلق بالتركيب المقطعـي (٧٤) سـواء فـي الفصـحى أو في المحكيات للأعداد المركبة . وهو أن هذه المسـتويات تكـره توالـي المقاطع القصيرة المفتوحة،وهذه موجودة في الأعداد المركبة خصوصاً في الصيغة المذكرة منها ، ولذلك صرح علماء النحو والقراءات أن تسكين عين " عشـر" -الجزء الثاني من الأعداد المركبة -هو تسكين لا يسري على الصيغة المؤنثة مـنها ،وذلـك لأن هذه الأخيرة تفضل المقطع (٣) على المقطع (١) واليك بيان ذلك في الفصحى في حالتي وصل الكلام ثم الوقف :

١١-أَحَدَ عَشَرَ (١+١+١+١+١+١) إحدى عَشرَةَ (٣+٢+٣+١+١).

---

(٧٢) حاتم صالح الضامن : ومات الطاهر ، مجلة العرب(الرياض)ج٣،٤ س ٣٢، كانون ٢، شباط سنة ١٩٨٧ ،صـ١٤٧

(٧٣) ابراهيم السامرائي : من العربيةالمحكية في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري ، (نفس المصدر) ج ٢،١س ٣٣ ، تشرين ٢ ، كانون ١ سنة ١٩٩٧م صـ ١٧

(٧٤) للتذكير المقاطع الشائعة في العربية الفصحى هي(١) مقطع قصير مفتوح مكون من صامت وحركة قصيرة ،مثل بَ، بِ ،بُ (٢) مقطع طويل مفتوح مكون صامت وحركة طويلة مثل: يا، في (٣) مقطع طويل مغلق مكون من صامت وحركة قصيرة وصامتة مثل : مَن ، هَل ، قُم (٤) مقطع مغرق في الطول مغلق ، مكون من صامت وحركة طويلة وصامت مثل : فيل ، روح ، باب (٥) مقطع مغرق في الطول مزدوج الإغلاق مكون من صامت وحركة وحركة قصيرة وصامتين مثل : أمس ، عِلم ،ويرمز إليها في الكتابة الصوتية عامة بما يلي :

(1) cv (2) cvv (3) cvc (4) cvvc (5) cvcc . انظر في ذلك :

Salman . H. AL-Ani : Arabic phonology , Mouton : The Hague , 1970 .p. 87.

- احمد محمد قدّور : مبادئ اللسانيات ، دمشق : دار الفكر ١٩٩٦م ، صـ ١١٦
- محمود فهمي حجازي : مدخل إلى علم اللغة ، القاهرة : دار قباء ١٩٩٨م صـ ٨٠-٨١

وتوالي أربعة مقاطع من النوع (١) مكروه حتى في غير هذا الموضع " وهذا هو السر في تغيير نظام المقاطع في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك ، إلى مقطعين من النوع الأول بينهما مقطع من النوع الثالث ، مثل ضَرَبتُ ، بدلاً من توالي أربعة مقاطع من النوع الأول في: ضَرَبَتُ(*)" (٧٥) . وعلى ذلك جاءت قراءة قرآنية منسوبة لأحد القراء العشرة هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، أَحَدَعْشر ،بسكون العين (٧٦). وينسب أبو حيان القراءة لأكثر من قارئ : " وقرأ الحسن وأبو جعفر وطلحة بن سليمان (أحدَ عْشر) بسكون العين ، لتوالي الحركات ، وليظهر جعل الاسمين واحداً"(٧٧) وبدون شك فإن التركيب المقطعي في هذه الحالة سيكون (١+١+٣+١+١) ولن يتوالى اكثر من مقطعين من النوع الأول . ولعلّ السيرافي كان من اوضح القدماء عندما أورد أنّ " بعض العرب يقول : أحدَعْشر وخمسةَ عْشر، فيسكن العين . وإنما فعل هذا لأن (أَحَدَعَشَرَ)قد اجتمع فيها ست متحركات ، وليس في كلامهم أكثر من ثلاث متحركات متواليات إلا ماكان مخففا والأصل غيره كقولهم : عُلَبِط وجُنَدِل وزَلَزَل . وليس في كلامهم أكثر من اربع حركات متواليات في كلمة كانت أصلاً أو مخففة .فلما صار (أحد عشر) بمحل اسم واحد ، خففوا الحرف الرابع الذي بتحريكه يكون الخروج عن ترتيب حركات الأصول في كلامهم "(٧٨). ولما كانت المحكيات الحديثة غير معربة وهي تلزم عدم تحريك أواخر الكلمات ، فان العدد سيكون تركيبه المقطعي (١+١+٣+٣)، وهي الصيغة التي انسلت أمثال: حِدَعْشَر و حَدَعْشَر .

---

(٧٥) رمضان عبد التواب : التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه : القاهرة والرياض : مكتبة الخانجي ودار الرفاعي ١٩٨١م ص٦٣ .

(٧٦) أحمد بن محمد الدمياطي البنّاء : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، صححه على محمد الضباع ، القاهرة :ط عبد الحميد حنفي ١٣٥٩هـ صـ ٢٦٢ . وقارن بابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، تصحيح على محمد الضباع ، القاهرة : المكتبة التجارية ، ج٢/٣٩٣ .

(٧٧) أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي : البحر المحيط ، القاهرة : ط السعادة ١٣٢٨هـ ، جـ٥/ ٢٧٩.

(٧٨) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ج١/ ١٨٨.

١٢- اثناعَشَـرَ (٣+٢+١+١+١) ، اثني عَشَرَ (٣+٣+١+١+١) ([٧٩]) وفي حالة تسكين العين هنا سينشأ المقطع الرابع (ناع) المكروه وروده في موقع الوسط ،([٨٠])، أي : اِث + نـاع +شَ+رَ(=٣+٤+١+١) . واذا افترضـنا تسـكين الاخـر ايضاً اصبح التركيب : اِث+ناع +شر(=٣+٤+٣) .وهذا المقطع تخلصت منه المحكيات بتقصير الحركة الطويلة منه ليصبح :اِث+نَع+شر(٣+٣+٣) .وهذا ما حدث في قراءة أبى جعفر ثم في لغة بعض العرب . ولنترك علماءنا القدماء يعبرون عن ذلك بلغتهم .

قـال الفراء : " ومن القراء من يسكن العين من (عشر) في هذا النوع كله ؛ الا (اثـنا عشـر)؛ وذلك لأنهم استثقلوا كثرة الحركات ، ووجدوا الألف في (اثنا) والياء في (اثنـي) ساكنة ، فكرهوا تسكين العين وإلى جنبها ساكن "([٨١]). وفي موضع آخر يقول " اثناعشـر في الذكران لا يخفف العين ، لأن الألف مـن (اثنا عشر) ساكنة ، فلا يسكن بعدهـا آخر فيلتقي ساكنان"([٨٢]) ونقل ابن جنى عن الأخفش في ذلك " ولا يجوز ذلك مع اثناعشـر ولا اثني عشر ، لسكون الأول من الحرفين ، أعني الألف والياء فيلتقي ساكنان في الوصل ليس أحدهما حرف لين والثاني مدغماً . وعلى أنه قد روى ابن جمّاز عن ابي جعفـر : اثناعْشـر؛ بسـكون العيـن وفيه ماذكرناه "([٨٣])وقال الدمياطي " واختلف في (اثناعشر) وأحد عشر وتسعة عشر . فابو جعفر بإسكان العين من الثلاثة ، ولا بدّ من مدّ ألـف (اثنا) للساكنين ، وكره ذلك بعضهم من حيث الجمع بين ساكنين على غير حدهما . لكن في(النشر) انه فصيح مسموع من العرب .قال : وانفرد النهرواني عن زيد في رواية ابـن وردان بحـذف الألـف وهي لغة ايضاً "([٨٤]) .أي اثنعشر كما في ايامنا هذه. اما (اثـنعش) و(اثـناعَش) وما أشبههما فهما سليلتان للصيغة التي فيها المقطع المكروه بعد حذف الراء . وينسحب هذا على (احداعَش) و (حِدَعَش) وما شابههما.

([٧٩]) هذا على افتراض النطق في بدء الكلام للصيغة المذكرة المفضلة كما أسلفنا.
([٨٠]) للتفصيل انظر : التطور اللغوي صـ٦٣-٦٤ ومدخل إلى علم اللغة صـ٨٢
([٨١]) معاني القرآن ج٢/٤٣
([٨٢]) معاني القرآن ج٣/ ٢٠٣
([٨٣]) المحتسب جـ٢/٣٣٩
([٨٤]) إتحاف فضلاء البشر صـ٢٤٢ وانظر أيضاً : النشر في القراءات العشر جـ٢/٢٧٩

١٣- ثلاثـــة عَشَـــرَ(=١+٢+١+١+١+١+١) وفـــي حـــال إسكان العين – وقد ورد في القـــراءات القرآنية وسُمع عن العرب المحتج بلغتهم – تصبح : ثَ+لا+ ثْ+ تَع + شَ+رَ (=١+٢+١+٣+١+١) وهـــنا حذفـــت بعض المقاطع القصيرة المفتوحة . فإذا سكن آخر الصيغة كما في المحكيات أصبحت(ثَ+لا+ثْ+تَع+شَر)أي : (١+٢+١+٣+٣) . ونلاحظ تحول الثاء الثانية تاءً حتى في اللهجات التي فيها هذا الصوت ، لأن هذا التتابع (ث+ت) ممتـــنع في نسيجها وأما تحول التاء طاء فالطاء –في النطق المعاصر– هي التاء :مخرجاً وانفجاراً وهمساً . ولكنها مطبقة بعكس التاء غير المطبقة.

١٤- أَربَعـــةَ عَشَرَ (=٣+١+١+١+١+١+١)← ار+ بَع + تع + شَر (=٣+٣+٣+٣) اختفت المقاطع القصار المفتوحة جميعاً.

١٥-خَمسَةَ عَشَرَ (=٣+١+١+١+١+١)← خم+سَ+تَع+شَر(=٣+١+٣+٣) ، لكن هذا التتابع في المحكيات مكروه ، لذلك لجأت إلى أن أبدلت به التتابع التالي : (خَ+ مس) (أو مص) + تع+ شـــر) (=١+٣+٣+٣) أو(خ +مص+طعش) (=١+٣+٥) .

١٦-سِتَّةَعَشَرَ(=٣+١+١+١+١+١+١) (بعد سكون العين والآخر):←سِت+ تَ + تَع + شَر (*) (=٣+١+٣+٣) وهذا التتابع المقطعي مكروه في المحكيات كما ذكرنا قبل قليل، وفيه كراهية أخرى هي توالي الأمثال فيه ؛ إذ أن المقاطع الثلاثة الأولى من بين الأربعة تحتوي على صوت التاء . وكراهية توالى الأمثال في الفصحى تحله الفصحى بحذف أحد المتماثليـــن أو ادغامه في غيره أو إقامة حاجز بينهما.([٨٥])وهنا حلّته المحكيات بأن حذفت المقطع القصير المفتوح فأصبح التركيب : سِتَّعشَر (٣+٣+٣).

١٧- سَبعَةَ عَشَرَ (=٣+١+١+١+١+١+١) ، (بعد سكون العين والراء) ←
سب + عَ + تَع +شَر (=٣+١+٣+٣)

([٨٥]) للتفصيل انظر رمضان عبد التواب : التطور اللغوي صـ٤٤-٤٦ ، وله أيضاً : بحوث ومقالات في اللغة ، ١٩٨٢ ، صـ ٢٧-٥٤، وإن شئت تفصيلاً أكثر انظر : محمد محمود وهيب :كراهة توالى الأمثال في اللغة العربية ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) –كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٩٦. على أن هذه الأبحاث جميعاً لم تتناول ما نحن بصدده هنا.

١٨- ثَمانِيَةَعَشَرَ(=١+٢+١+١+١+١+١+١) ،(بعد سكون العين والراء):

← ثـ+ما+نِ+يَ+تَع+شَر(*) (=١+٢+١+١+٣+٣) ، لكن هذا التتابع (١+٢+١+١) ممتـنع في المحكيات في موقع الوسط ، فحدث به تغيير ليصبح ثَمَنطعشَر أو ثَمَنتَعشَر (=١+٣+٣+٣)

١٩- تِسعَةَ عَشَر (=٣+١+١+١+١+١) ، (بعد سكون العين والراء): ←

تِسعَتعشَـر (=٣+١+٣+٣). وذلـك قد ورد في القراءات العشر قال ابن جني : " قراءة أبي جعفر يزيد وطلحـــــة بن سليمـــان(عليها تسعةَ عْشر) ... قال ابو الفتح : أمـا تسعةَعْشـر ، بفـتح هاء تسعة وسكون عين عشر، فلأجل كثرة الحركات ، وأن الاسمين جُعلا كاسم واحد "([٨٦]).

(١٠)

بقي لدينا أن بعض المحكيات تستبدل بالعين في هذه الظاهرة فتحة طويلة (=الف مدّ) . وهذا مردّه إلى المواريث المحلية لكل قطر ؛ وذلك ان المحكية المصرية في نطق العين " تميل إلى التخفيف من درجة احتكاكها وذلك بجعل فتحة مخرجها في الحنجرة اكثر رخاوةً واتساعاً . وتكاد تكون العين القاهرية تقارب الحركة لهذا السبب"([٨٧]).

ختـام

وهكذا رأينا أن هذه الظاهرة المركبة من عدة ظواهر ليست وليدة اليوم، بل لها جذورهـا القديمة ، إن في الفصحى وإن في المحكيات القديمة ، وحاولنا تتبعها تاريخياً ، وحاولنا تفسيرها ما أمكننا الجهد .

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين ،،،،

([٨٦]) المحتسب ، ج٢/٣٣٨ ، وانظر لابن جني : الخصائص /تحـ محمد علي النجار ، القاهرة : دار الكتب المصرية ٥٢-١٩٥٦م ،جـ١/٣٥٥، و الخاطريات ، تحـ علي ذو الفقار شاكر ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م ،صـ ٥٤، وانظر : الزمخشري : تفسير الكشاف ، تحـ محمد مرسي عامر ، القاهرة :دار المصحف ، ج٦/ ١٧٩ وابن حيان الغرناطي:البحر المحيط ، ج٨/ ٣٧٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ص٤٢٧

(٨٧) احمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ، ص ١٠٦.